View metadata, citation and similar papers at core.ac.uk
brought to you by CORE
provided by Journals Of University Of Gezira

معجم الأحاديث القدسية

الألفاظ والدلالات

د. على عبد الله النعيم(*)

تمهيد

عرفت كتب الحديث النبوي الشريف ، ومصادره الأولى ، ضرباً خاصاً من الحديث ، يرويه الرسول (صلي الله عليه وسلم) ، عن الله تبارك وتعالى أو يسنده باعتباره من قوله تعالى. وقد عرف هذا النوع من الأحاديث بالأحاديث القدسية . وينسب الرسول (صلي الله عليه وسلم) الأحاديث القدسية إلى الله (تعالي) على ثلاث كيفيات : أولاها : الرواية عنه ، وثانيها القول المنسوب إلى الله ، كأن يقول:" قال الله أو يقول الله ، وثالثها : على سبيل الحكاية عن الله أي قولهم : فيما يحكيه عن ربه . وإذا نحن نظرنا إلى جملة النصوص التي بين أيدينا نجد أن عدد الأحاديث التي جاءت منسوبة إلى الله تعالى على أنها من قوله تعالى تفوق تلك التي جاءت على سبيل الرواية أو الحكاية على الرغم مما نجده في كل المؤلفات المختصة بهذا الباب من أن الصيغ المشهورة في الحديث القدسي هي صيغ الرواية .وعرفت الأحاديث القدسية بعدة تسميات منها تسميتها الأحاديث الإلهية نسبة إلى الإله تعالى ذكره . وهي التسمية الأكثر وروداً في كتب السلف عندما يذكرون هذه الأحاديث . وقد أحصى الباحث ورودها عند ابن حجر العسقلاني[1] وابن حجر الهيثمي[2] فوجدها التسمية الغالبة . وقد سمى ابن بلبان كتابه : المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية . وتسمى كذلك الأحاديث الربانية كما تسمى القدسية. وقد شاعت هذه التسمية في مؤلفات القرون الأخيرة ، فأصبحت هي التسمية الغالبة في زماننا ولهذا جاءت هذه الورقة معنونة بها .

وتجيء دراستنا لمعجم الحديث القدسي هنا بوصفه نمطاً خاصاً من النصوص الإسلامية المقدسة ، يدل سنده وطريقة روايته على أنه يختلف عن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وأنه يلتقي مع الحديث النبوي في بعض الوجوه ولعل هذه الدراسة تبين خصائص الحديث القدسي من حيث المفردات والدلالات . أما النصوص التي اعتمدتها في هذه الدراسة فهي :

نصوص الأحاديث القدسية:

الواردة في صحيحي البخاري ومسلم ، وجامع الإمام الترمذي ، وسنن أبي داوود السجستاني ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجة القزويني ، وموطأ الإمام مالك . وهي مجموعة في الكتاب الذي أصدره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

(*) أستاذ مشارك ، كلية التربية حنتوب ، جامعة الجزيرة ، السودان.

(1) انظر : ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط1 ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ، د. ت ، ج11 ص 271 ، ج13 ، ص 40..

(2) انظر : ابن حجر الهيثمي ، فتح المبين لشرح الأربعين ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1978م ، ص 201 ، ص 262 ، ص 269.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في مصـر ومخرجة تخريجاً كاملاً . وقد راعيت أن يكون ما أعتمده من الصـحيح والحسـن واعتمدت كذلك نصـوص الأحاديث القدسية الواردة في مسند الإمام أحمد بن حنبل مع مراعاة المحاذير السابقة . وكذلك الأحاديث الواردة في كتابي السيوطي : الجامع الصغير والجامع الكبير . وقد أعد الشيخ ناصر الدين الألباني دراسة بين الصحيح فيها . ويصل مجموع الأحاديث القدسية التي اعتمدتها هذه الدراسة نحو مائتي حديث قدسي تتفاوت في الطول .

وهى على كل حال تشكل مادة للبحث روعي فيها عدم الانتقاء حتي تكون عينة دالة على الحديث القدسي وخصائصه مع تأكيد مراعاتنا لصحة هذه الأحاديث واستبعادنا لكل ضعيف وموضوع .

تشمل دراستنا لمعجم الأحاديث القدسية ، دراسة الألفاظ ذات الدلالات في هذه النصوص ويشمل ذلك الألفاظ التي تدل على عناصر بعينها ، مثل الألفاظ الدالة على الزمن . وهو عنصر له حضور واضح في نصوص الأحاديث القدسية . وكذلك الألفاظ الدالة على المكان . ثم ندرس بعض الألفاظ التي كثر ورودها في هذه النصوص . وهي تحمل دلالات خاصة ترتبط بمضمون الحديث القدسي . وتسمى مثل هذه الألفاظ في الدراسة الأسلوبية ، مفاتيح النصوص ، وذلك لأنها تكون تعبيراً أساسياً عن المضامين التي تحملها . ثم ننتقل بعد ذلك لحصر الألفاظ الدالة على المفاهيم العامة لهذه النصوص . وقد استخرجتها من النصوص التي قامت على الحوار في الغالب . وذلك أن نص الحديث القدسي قد يقوم على الحوار بين بعض الأطراف ويترك للقارئ أو السامع أن يستنتج دلالات الحوار بنفسه . فقمت بحصر هذه الألفاظ الدالة . ثم ختمت هذا البحث بدراسة ألفاظ الحديث القدسي وعباراته التي وردت في كتب غريب الحديث .

أ.الألفاظ الدالة علي " الزمن " في نصوص الأحاديث القدسية :

لعله يحسن أن أذكر هنا أن الدلالة على الزمن لاتكون خالصة للألفاظ المفردة ، ذلك أنها تقوم على عناصر معجمية ونحوية وسـياقية متداخلة . وسـوف نعرض لأهم دلالات الزمن في نصـوص الأحاديث القدسـية بدراسـة دلالات المادة المعجمية وما يتكرر فيها من ألفاظ مثل الليل والنهار ، ويوم القيامة وسـاعة دخول الجنة أو النار . ونعرض كذلك للألفاظ التي تدل على الزمن بحكم وضعها مثل : يتعاقبون ولا يزال وغيرها . ونعرض كذلك لدلالات الأفعال العربية من الماضي والمضـارع والأمر على الزمن وهي دلالات وظيفية يحكمها السياق الذي جاءت فيه الأفعال . ونجد أن قسماً كبيراً من هذه النصـوص ، يختص بتأصـيل حركة المؤمن ، على أسـاس من الذكر الدائم في كل حركاته وسـكناته ولاشـك أن للوقت أو الزمن صـلة كبيرة بهذا الأمر . ومن نصـوص الأحاديث القدسية الدالة على تأصـيل معنى المداومة على العبادة والاستمرار فيها وتجنب الغفلة . حديث الولاية المشـهور، وفيه " من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشـئ أحب إلي مما افترضـته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت .... الحديث "[1] ودلالة " ما يزال " على المداومة والاسـتمرار واضـحة لا تخفى أما نتيجة هذه المداومة كما يبين الحديث فهي حب الله للعبد . وهذه الغاية القصـوى التي يسـعى إليها العبد مرتبطة بالزمن . وتمثل الألفاظ الدالة على الزمن ، عاملاً أسـاسـياً في الترابط الداخلي بين

[1] انظر : ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج11 ، ص 34، الحديث رقم 6502.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه النصوص . وتمثل عاملاً أساسياً في التعبير عن طبيعة العبادة التي يجب أن تستغرق حياة العبد بكاملها . ويمكننا تقسيم المادة المعجمية الدالة على الزمن في نصوص الأحاديث القدسية إلى ثلاثة أقسام : "الأول : المادة الإسمية ويمثلها ظرف الزمان بدلالاته المتعددة . والثاني : وتمثله المادة الفعلية التي تدل على الاستغراق والمداومة مثل أصبح ولا يزال وغيرهما[2] ويلاحظ أن هذين القسمين يدلان على الزمن بحكم المطابقة والدلالة الضمنية . والقسم الثالث : الصيغ الفعلية " الماضي والمضارع والأمر " وهي تدل على الزمن بحكم وظيفتها[3] أما الشواهد على هذه الأقسام التي أشرنا إليها فهي كثيرة في الأحاديث القدسية نذكر منها ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة (رضي الله تعال عنه) قال :" قال النبي (صلي الله عليه وسلم): الملائكة يتعاقبون : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر ، وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم - وهو أعلم - فيقول كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم يصلون "[1] والألفاظ الدالة على الزمن هي : الليل والنهار والفجر والعصر ويتعاقبون وباتوا فيكم، " وتركناهم – وأتيناهم " . ولا تقتصر أهمية الزمان على الاستغراق في هذه العبادة ، وإنما يكون انتظارها مدعاة لأن يباهي الله تعالى الملائكة بعباده وبحرصهم على أوقات العبادة ، من ذلك قول عبدالله بن عمرو بن العاص : صلينا مع رسول الله المغرب ، فرجع من رجع وعقب من عقب[2] فجاء رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مسرعاً قد حفزه النفس ، وقد حسر عن ركبتيه ، فقال :" ابشروا هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة يقول :" انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى[3] ولا شك أن في هذا الانتظار دلالة على الاستمرار والاستغراق .

ومن النصوص التي تشكل الألفاظ الدالة على الزمن أساساً كبيراً فيها ، ما ورد في الحديث القدسي " يتنزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة ، إلى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ [1] . ونلحظ دلالة الفعل المضارع هنا : يدعوني ، يسألني ، يستغفرني . ونجد كذلك للشرط الذي في هذه الجمل مع الفعل المضارع دلالة على الاستقبال والاستمرار[2] وفي بعض روايات هذا الحديث :" ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأول ... فلا يزال حتى يضئ الفجر "[3]

---

(2) انظر : د. مالك يوسف المطلبي ، الزمن واللغة ، ط1 – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة، 1986م، ص171 .

(3) انظر : عصام نور الدين ، الفعل والزمن ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات الإسلامية والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان 1984م، ص 37.

(1) انظر : ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج13 ص 461 – الحديث رقم 748.

(2) المعقب المنتظر : والتعقيب في الصلاة الجلوس بعد أن يقضيها لدعاء أو مسألة - انظر : ابن منظور الأفريقي لسان العرب " مادة " عقب ".

(3) ابن ماجة القزويني ، أبو عبدالله محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط دار احياء التراث القاهرة 1975م، ص 262.

(1) انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج11 ، ص 129 ، الحديث رقم 6321.

(2) انظر : ابن هشام الأنصاري ، شرح اللمحة البدرية في علم العربية لأبي حيان ، دراسة الدكتور هادي نهر وتحقيقه ، مطبعة جامعة بغداد 1977م ج2 ص 27 .

(3) مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار الفكر، بيروت، 1978 م، ج1 ص 512.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتظهر هنا دلالة " كل ليلة " ، " ولا يزال " ، على الاستمرار والمداومة على الفعل وما في ذلك من حث للعبد على عدم الغفلة في ذلك الوقت ومن ذلك الحديث القدسي :" ابن آدم اركع لي من أول النهار أربع ركعات أ كفك آخره[4] ودلالة " أول " آخر " على الاستغراق والاستمرار لا تخفى وإن لم يكن الاستمرار في هذا النص للعبادة وإنما هو لأثرها على العبد وهو الحفظ من الله تعالى. ونذكر من هذه النصوص التي فيها هذا التأكيد الواضح ولعنصر الزمن ما جاء في الحديث :" ما من حافظين رفعا إلى الله ما حفظا من ليل أو نهار ..."[5] ومنها :" تفتح أبواب الجنة كل يوم اثنين وخميس فيغفر في ذينك اليومين لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً"[6] وفي رواية " تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين : يوم الاثنين ويوم الخميس "[7] ويأتي التعبير عن الزمن أو الوقت وأهميته صريحاً في بعض النصوص ، من ذلك ما ورد في الحديث القدسي : " إني فرضت على أمتك خمس صلوات ،وعهدت عندي عهداً أنه من جاء يحافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي"[1] وتظهر مسألة الإحساس بعنصر الزمن هذه في كل أصناف الذكر ، حتى أن لحظة من الوقت يكون قلب المؤمن حاضراً فيها مع ربه ،تكون سبباً في نجاته من الخلود في النار . فقد ورد في الحديث القدسي "أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام"[2]

ولا يقتصر التعبير عن الزمن على عبادة بعينها وإنما نجد ذلك شاملاً للعبادات كلها ، من ذلك ما جاء في الإنفاق " يا ابن آدم أنفق أنفق عليك .. "وقال : "يمين الله ملأى ، لا يغيضها شيء ، سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه..."[3]. وتبين لنا هنا دلالة " الليل والنهار" على الاستمرار والاستغراق ودلالة "منذ" على استمرار ذلك من بداية الدنيا إلى يومنا هذا ،وإلى ما شاء الله من شيء.

ومن دلالات الزمن في هذه النصوص أيضاً ما يعبر عنه بألفاظ دالة على الزمن مثل: أصبح ، وما يزال وما شابههما .من ذلك ما ورد في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري بسنده عن زيد بن خالد الجهني قال : "صلى لنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم)صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف النبي (صلي الله عليه وسلم) ـــ أقبل على الناس فقال: " هل تدرون ماذا قال ربكم؟ ... قال :أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ،وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب "[1].

---

[4] الترمذي ، أبو عيسي محمد بن سورة ، الجامع الصحيح و هو سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج2 ، ص 340.

[5] نفسه ج3 ، ص 301.

[6] سنن أبي داوود، ج4 ، ص 279 – 280.

[7] صحيح مسلم، ج4 ، ص 1987.

[1] سنن ابي داوود ،ج1 ، ص 117.

[2] سنن الترمذي ،ج4 ، ص 712.

[3] صحيح مسلم ، ج2 ، ص 69.

[1] انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج2 ، ص 522 ، الحديث رقم 1038.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والكوكب هذا فيه دلالة على إحساسهم بأن الوقت أو الزمن هو الذي أمطرهم .أما أولئك فقد أيقنوا أن الله تعالى هو الذي أمطرهم لأنه خالق الكوكب الذي مطروا في وقته . ومن ذلك قوله : "إن أمتك لا يزالون يقولون :ما كذا؟ما كذا؟حتى يقولوا : هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟ وفي رواية : فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله"[2]ومن ذلك قوله : "أنا عند ظن عبدي بي ،وأنا معه حين يذكرني[3]".

وتصل هذه الدلالات الزمنية غايتها في ربطها بالعبادة بأن يجعل الإنسان الدهر هو الغاية التي يحمل عليها كل أمر في حياته . ففي الحديث : " يؤذيني ابن آدم يسب الدهر ، وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"[4] وفي هذا الحديث ربط واضح لتقلبات الزمن والإحساس به بالتوحيد ، وهو أساس العبادة ، وإذا حسن حسنت العبادة ،وإلا فسدت بفساده . أما دلالة الأفعال على الزمن في نصوص الأحاديث القدسية فهي ظاهرة في كثير من النصوص . ونجد أن الفعل الماضي الذي يدل وضعه على ما مضى [5] يخرج في مواضع رصدها النحاة إلى معان تدل على الاستقبال والاستمرار وذلك إذا اقترن بـ "إذا" مثلاً ،وهي ظرف لما يستقبل من الزمان[6] ومن الشواهد على ذلك ما ورد في الحديث الحديث القدسي : " إذا قال العبد : لا إله إلا الله ... يقول الله (تعالي) : صدق عبدي لا إله إلا أنا والله أكبر ،وإذا قال العبد : لا إله إلا الله وحده قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي ... الحديث "[1].

ومن ذلك الحديث :" قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد :" الحمد لله رب العالمين" ، قال الله (تعالي) : حمدني عبدي .وإذا قال : " الرحمن الرحيم" ، قال الله عز وجل :أثنى علي عبدي ..."الحديث"[2] ويدل الماضي على الاستقبال والاستمرار كذلك إذا اقترن بـ"إن" الشرطية"[3] وذلك في الحديث القدسي : " أنا عند ظن عبدي بي ،وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ،وإن اقترب إلي شبراً اقتربت منه ذراعاً وإن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً... الحديث[4] ومن ذلك اقتران الماضي بـــ"ما" ففي الحديث "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي ..."[5] وكذلك

---

(2) انظر : صحيح مسلم ، ج1 ، ص 120.
(3) انظر : ابن حجر العسقلاني فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج13 ، ص 384 ، الحديث رقم 7405.
(4) نفسه ج8 ص 574 ، الحديث رقم 4826.
(5) انظر : سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان ، الكتاب تحقيق عبدالسلام هارون، ط دار القلم ، القاهرة 1916م، ج1 ، ص 12.
(6) انظر : السيوطي جلال الدين ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع تحقيق عبدالسلام هارون وعبد العال سالم مكرم ، ط دار البحوث العلمية ، الكويت 1975م ، ج1 ، ص 26.
(1) سنن ابن ماجة ، ج2 ، ص 1246.
(2) سنن النسائي، ج3 ، ص 208 .
(3) الاستراباذي ، رضي الدين محمد بن الحسن ، الوافية في شرح الكافية لابن الحاجب ، تحقيق عبد الحفيظ شلبي ، ط وزارة التراث القومي للثقافة ، مسقط عمان 1983م ، ج1 ، ص 225.
(4) انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج13 ، ص 384 ، الحديث رقم 7409.
(5) سنن الترمذي ، ج5 ، ص 548.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اقترانه بـــ"لو" ففي أحد النصوص " يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني ، غفرت لك ولا أبالي " [6] . أما دلالة "المضـارع" على الاسـتقبال فهي واضـحة بينة وكذلك دلالته على الاسـتمرار ونجد ذلك ماثلاً في نصـوص العبادة والذكر ، فمن دلالته على الاستقبال : " فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ... الحديث "[7] وكذلك في الحديث : "ما يقول عبادي ؟ قال : يقولون يسـبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ... قال: فما يسـألونني ؟ قال : يسـألونك الجنة... الحديث "[1]. أما دلالة فعل الأمر على الزمن فأمر مختلف فيه بين النحاة فمنهم من قال بدلالته على الحال ،ومنهم من قصـرها على الاسـتقبال ، ومنهم من جعلها على الأمرين معاً : الحال والاسـتقبال ، ومنهم من أنكر دلالة الأمر على الزمن مطلقاً . وقد جمع القزويني هذه الآراء ولخص القول فيها[2].

وإذا نحن نظرنا في نصوص الأحاديث القدسية المختصة بوصف الذكر والعبادة نجد أن دلالة الأمر واضحة على الحال والاستقبال من ذلك ما ورد في الحديث القدسي : " يا عبادي ، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي ، كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم " الحديث[3] . وواضح من هذا النص أن استهدوني ، استكسوني واستغفروني دالة على الحال والاستقبال وهي تؤكد معنى المداومة والاستمرار في الذكر والعبادة والدعاء ومن هذه النصوص أيضاً :" يا ابن آدم ، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ..."[4]

و أشير هنا إلى أن معظم ما ذكرناه من دلالات الزمن يتصل بنصوص الأحاديث التي تدعو إلى الذكر والعبادة وهو الباب الأساس في نصوص الحديث القدسي . وقد ذكرنا أن بعض نصوص الحديث القدسي تصور بعض مشاهد يوم القيامة والجنة والنار . ونجد أن بعض هذه النصوص قد صورت هذه المشاهد بصيغة المضارع الدالة على الاستقبال . وغالباً ما يرتبط المضارع في مقدمات هذه النصوص ب "السين " وهي تفيد الاستقبال لا محالة ، يقول ابن هشام :" السين المفردة حرف يختص بالمضارع . ويخلصه للاستقبال ... ومعنى قول المعربين فيها :" حرف تنفيس " حرف توسيع ، و ذلك أنها تقلب المضـارع من الزمن الضـيق - وهو الحال - إلى الزمن الواسـع - وهو الاسـتقبال - وأوضـح من عبارتهم قول الزمخشري وغيره حرف استقبال "[1] ومن شواهد ذلك في الحديث القدسي " إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس

---

[6] نفسه ، ج5 ، ص 548.

[7] سنن النسائي ، ج4 ،ص 163.

[1] انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج 11 ، ص 8-9 ، الحديث 6408.

[2] انظر : الجرجاني ، السيد الشريف ، حاشية الشريف على المطول للتفتازاني على تلخيص القزويني ، مطبعة أحمد كامل ، تركيا ، 1330 للهجرة ، ج1 ،ص 97.

[3] صحيح مسلم ، ج4 ، ص 1994 .

[4] سنن الترمذي ، ج4 ، ص 642 - 643.

[1] ابن هشام ، جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، ط6 ، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، 1985م، ص 184 ، 184.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلائق يوم القيامة ... الحديث[2] وبالطبع فإن كل ما يأتي في هذا النص يفيد الاستقبال وذلك لإفادة " السين " في " سيخلص " ، وكذلك عبارة " يوم القيامة " لأن الحدث الذي يصوره نص الحديث سوف يكون في زمن قادم . وتعبر الأفعال المضارعة في هذا النص عن الاستقبال ، وذلك لأنها معطوفة على الفعل الأول " سيخلص " وفيه" فينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول ... الحديث " ومن ذلك قوله :" وسيؤخذ ناس من دوني فأقول : يا رب مني ومن أمتي "[3] وتأتي دلالة الاستقبال للمضارع في بعض نصوص الأحاديث القدسية من اقترانه بعبارة" يوم القيامة" وهي تدل بلا ريب على الاستقبال. وذلك كما ورد في الحديث القدسي " يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لاتعصني ؟ فيقول له أبوه : فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم : يا رب ،إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى:إني حرمت الجنة على الكافرين ...الحديث"[1]. ومن ذلك الحديث : "يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له: ألم أجعل لك سمعاً ...الحديث[2] وتقترن بعض النصوص بقرائن مثل الجنة والنار" "أو " "أهل الجنة والنار" فتدل على أن المضارع تصور به أحداث في المستقبل كالذي جاء في الحديث القدسي :يدخل الله أهل الجنة الجنة ، يدخل من يشاء برحمته . ويدخل أهل النار النار ، ثم يقول : "انظروا من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خردل من إيمان فأخرجوه ..الحديث[3] ،ويدل المضارع على الاستقبال إذا اقتضى طلباً[4]. وذلك كما في أسلوب العرض والتحضيض وقد أشرنا إلى وجوده في نصوص الأحاديث القدسية ومن أمثلته : "يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد فيبصرهم الناظر ،ويسمعهم الداني ، وتدنو منهم الشمس فيقول بعض الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه :إلى ما بلغكم ؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ... الحديث[5] . ونجد كثيراً من نصوص الأحاديث القدسية تصور مشاهد يوم القيامة و الجنة والنار التي سوف تحدث في زمن قادم ، تصورها بعد حدوثها بصيغة الماضي ، فهي تحتوي إذ ذاك على زمن الأحداث الفعلي وعلى زمنها التأثيري الذي تنتج منه الدلالة . والدلالة في هذه النصوص دلالة ترغيب أو ترهيب . ودلالة "الماضي" على الأحداث المتوقعة أو المنتظرة في المستقبل معروفة في العربية ، وذلك إذا اقترن بعوامل معينة أو إذا كان وقوع الحدث أمراً محققاً[6] ومن ذلك قوله (صلي الله عليه وسلم): " إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت : يا رب ، ادخل الجنة من كان في قلبه خردلة، فيدخلون ثم أقول : ادخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء ...[1] ومن دلالات " الماضي على المستقبل ما ورد في الحديث " إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي

---

(2) سنن الترمذي ج5 ، ص 25.
(3) انظر : ابن حجر العسقلاني فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ص 473 الحديث رقم 7509.
(1) نفسه، ج6 ،ص 387.
(2) سنن الترمذي، ج4 ،ص 619.
(3) صحيح مسلم، ج1 ، ص 172.
(4) انظر : السيوطي جلال الدين ، همع الهوامع في شرح الجوامع، ج1، ص 21 .
(5) انظر : ابن حجر العسقلاني فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج6، ص 371 ،الحديث 3.
(6) انظر : د. عصام نور الدين ، الفعل والزمن ، ص 55.
(1) انظر : ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج 13، ص 473 ، الحديث 7509.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

به فعرفه نعمه فعرفها..الحديث[2] وتأتي الأفعال الماضية أيضاً لتصور لنا مشاهد تكون في الجنة وذلك لأنها أفعال متحققة الوقوع وتصويرها بالماضي يجعل تأثيرها عظيماً. ففي الحديث القدسي : "آخر من يدخل الجنة رجل . فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة ،فإذا ما جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذي نجاني منك ، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين. فترفع له شجرة، فيقول : أي رب ، ادنني من هذه الشجرة فلأ ستظل بظلها وأشرب من مائها ... الحديث[3]، وأحسب أن نصوص الأحاديث القدسية تحمل إطاراً زمانياً ممتداً ، يحمل حواراً ممتداً منذ أزمان الخليقة الأولى إلى يوم القيامة. فمن هذه النصوص ما يتحدث عن ساعة الخلق ،خلق آدم (عليه السلام) ،وذلك في قوله : اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك ...الحديث"[4]، ثم خلق بني آدم " لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة[5] ثم خلق الإنسان في بطن أمه :"إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً وأربعين ليلة أو أربعين ليلة ، ثم يكون علقة مثله ، ثم يكون مضغة مثله ، ثم يبعث الله إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات ، فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح "[1] وبعد عرض لحظات الخلق ، تصور الإطار الزماني لحركة العباد في عبادتهم لله تعالى على نحو ما وصفناه وهو إطار في الزمان عريض ينتهي بالموت، وإن كانت بركات عمل الأبناء لا تنقطع كما يصف الحديث القدسي ذلك ففيه : "إن الرجل لترفع درجته في الجنة ، فيقول :أنى هذا؟ فيقال : باستغفار ولدك لك "[2] ويصور الحديث القدسي موت آدم عليه السلام ، وموت الأنبياء ، وموت"العبد" ثم يصور ساعة بعث الخلق أجمعين ثم الحساب حتى ينتهي إلى زمن الخلود ، الذي يذبح في أوله الموت أمام الخلق ففي الحديث القدسي : " يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط ، فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه : فيقال : هل تعرفون هذا؟ قالوا نعم ،هذا الموت قال : فيؤمر به فيذبح على الصراط ، ثم يقال للفريقين كلاهما: "هكذا" خلود فيما تجدون لا موت فيها أبداً"[3]

وينتهي الحوار الذي وصفناه ، بزمان جديد سرمدي هو الخلود : إما في الجنة وإما في النار فتظهر أهمية الزمن من جديد في هذه النصوص ولكنها في عالم جديد.

ب ـ الألفاظ الدالة على المكان في نصوص الأحاديث القدسية :

---

[2] صحيح مسلم، ج3، ص 1513.
[3] صحيح مسلم، ج1، ص 173.
[4] انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج11، ص 5 ، الحديث 6227.
[5] سنن الترمذي، ج5 ، ص 267.
[1] انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج13، ص 440 ، الحديث 7454.
[2] سنن ابن ماجة ، ج23، ص 1207.
[3] نفسه ، ج2 ، ص 1447.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يمكننا أن نميز مكانين بارزين في نصوص الحديث القدسي ، الأول : هو دار العبادة أو الدنيا أو الأرض ،والثاني :هو الدار الآخرة بما فيها أرض الحشر والجنة والنار . أما الأرض فقد تكلم الحديث القدسي على خلقها ، وبين أهمية وجود الإنسان عليها،وأنه إذا اتقي الله وصدق في عبادته له ، كان أقوى شيء على الأرض . وذلك كما جاء في أحد النصوص: "لما خلق الله الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال ، فعاد بها عليها فاستقرت، فعجبت الملائكة من شدة الجبال ، قالوا : يا رب ، هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال : نعم الحديد ، قالوا: يا رب ، فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟قال : نعم النار ،فقالوا : يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال : نعم الماء، قالوا: يا رب ، فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال :نعم الريح ،قالوا: يا رب ، فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟قال :نعم ابن آدم تصدق بصدقة يمينه يخفيها من شماله"[1]. فالأرض هي المكان الذي تتجلى فيه عبادة العباد. وهي المكان الذي تقطعه الملائكة جيئة وذهاباً ، يرصدون الصالحين ،ويرفعون أعمالهم لله سبحانه وتعالى ، ففي الحديث : " إن لله ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا :هلموا إلى حاجاتكم ، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا"[2]. وفي بعض روايات هذا الحديث: "إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً ، يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم ، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا ... فإذا انصرفوا عرجوا و صعدوا إلى السماء فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم ـــ من أين جئتم؟ فيقولون :جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ... يسألونك جنتك ...[3] وفي رواية الترمذي :"إن لله ملائكة سياحين في الأرض ..."[1] وفوق ذلك فإن العبد الذي يرضى عنه ربه هو الذي يكتب له القبول في الأرض ، فكأنها دار الجزاء الأولى للتقوى والعبادة ، ففي الحديث القدسي : إذا أحب الله العبد نادى جبريل : "إن الله يحب فلاناً فأحبه ،فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض "[2]. وفي رواية له : "ثم يوضع له القبول في أهل الأرض " وكثيراً ما نجد النصوص الدالة على رضا الله عن العباد الطائعين في الأرض .وتظهر الصلة بالسماء كما في قوله "ابشروا هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة..[3].

ومن هذه النصوص قوله يتنزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ...الحديث[4] ولم تقتصر أماكن العبادة في الأرض على "الطرقات " حيث مجالس "الذكر "والجماعات كما جاء في الحديث الذي ذكرناه منذ حين .وإنما نجد أماكن أخرى بعيدة عن أعين الناس كالذي وردت الإشارة إليه في الحديث القدسي " يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية الجبل يؤذن بالصلاة ويصلي ، فيقول الله

---

(1) سنن الترمذي ، ج5 ، ص 423 – 424.
(2) انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج11 ،ص 802 - 209 الحديث 6408.
(3) صحيح مسلم ج4 ، ص 2069.
(1) سنن الترمذي ج5 ، ص 579.
(2) انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج6 ، ص 303 الحديث 3209.
(3) سنن ابن ماجة ج1، ص 262.
(4) انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج11، ص 128، الحديث 3621.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(تعالي) :انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة ،يخاف مني، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة "[5] . فهذا عبد صادف وقت العبادة في مكان بعيد عن الناس. فاتجه لذكر الله (I) ومكانه هذا لا رياء فيه فخلصت نيته وخاف ربه .

وتصور لنا الأحاديث القدسية أن هذه الأماكن المتصلة بالعبادة ستختفي عند نهاية الدنيا ، وتذكر لنا مشهد نهايتها ، وذلك في الحديث القدسي :" يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض "[1] .

أما البعد المكاني الثاني ، الذي تصوره الأحاديث القدسية ، فهو الذي ينشأ بعد قبض السموات والأرض . فينتقل الناس بعد الموت والبعث إلى مكان المحشر . ومن النصوص الدالة علي هذا المكان :" يحشر الله العباد ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ... الحديث[2]. ومن شواهده " إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً ...الحديث[3] ومنه قوله " يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ....[4] وهذا المكان - الصعيد - هو الذي يحاسب فيه الناس على أعمالهم ثم تصور لنا الأحاديث القدسية بعد ذلك المكانين البارزين اللذين يستقر فيهما العباد ، وهما الجنة والنار وقد وصف الحديث القدسي لحظة خلقهما :" لما خلق الله الجنة والنار ، أرسل جبريل إلى الجنة ، فقال : انظر إليها و إلى ما أعددت إلى أهلها فيها ، قال : فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها . قال : فرجع إليه ، قال : فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بها فحفت بالمكاره ... فقال وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد ... قال اذهب إلى النار فانظر إليها ، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً ، فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات ... فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها [1]. ويرد وصف الجنة والنار في الحديث ، من ذاك أنه يفصل بينهما سور ، وذلك في قوله : أتي بالموت فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة والنار "[2] وينصب على النار الصراط ، أو الجسر ، وهو الطريق المؤدي إلى الجنة وتكون حركة الناس عليه قدر أعمالهم .

---

[5] سنن النسائي ج2 ، ص 2.
[1] انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج8 ، ص 551 ،الحديث 4812.
[2] نفسه ، ج13 ، ص 453 ، الباب رقم 32.
[3] نفسه ، ج6 ، ص 386 ، الحديث رقم 3349.
[4] نفسه ، ج6 ، ص 371 ، الحديث رقم 3340.
[1] سنن الترمذي ،ج4 ، ص 693 – 694.
[2] نفسه، ج4، ص 691.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ورد وصفه في الحديث القدسي :" ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم. قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال مد حضه[3] مزلة[4] عليه خطا طيف [5] وكلاليب، وحسكة [6] مفلطحة ، لها شوكة عقيفاء[7] تكون بنجد ، يقال لها السعدان ، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب[8] فناج مسلم ، وناج مخدوش ، ومكدوس[9] في نار جهنم ، حتى يمر آخرهم فيسحب سحباً :"[10]. فالناس جميعاً كما يصف هذا الحديث يمرون عبر النار ويجاوزونها قدر أعمالهم . ومما ورد في وصف الجنة ، الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة (رضي الله تعالي عنه) عن النبي (صلي الله عليه وسلم)" قال : يقول الله تعالى :" أعددت لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ذخراً بله ما اطلعتم عليه ..... الحديث [1]ومنها ما ورد في شأن آخر أهل الجنة دخولاً ؟، ففي حديث مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال في شأن هذا العبد :" فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام على باب الجنة ، انفقهت[2] له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور ....."[3] ومن وصفها أيضاً ما ورد في الحديث القدسي ، إذ يقول الله تعالى للرسول(صلي الله عليه وسلم):" يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليه ، من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال أي رسول الله (صلي الله عليه وسلم):" والذي نفسي بيده ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير وكما بين مكة وبصرى "[4] ولا تحمل نصوص الأحاديث القدسية وصفاً للنار نفسها، كما جاء فيها وصف الجنة على النحو الذي بيناه.

وأشير هنا إلى أن نصوص الأحاديث القدسية تهتم بدراسة أحوال العباد في هذه الأماكن وتصور ما يجدونه . ولم يكن غرضها وصف المكان نفسه إلا بما يتناسب مع وصف حالة العباد . وذلك كالوصف الذي جاء فيها لساعة الحشر

---

(3) مد حضه : الإدحاض : الإزلاق ، الزلق ، أنظر لسان العرب مادة " دحض "

(4) مزلة : مفعلة من زل إذا زلق ، وتفتح الزاي وتكسر ، أراد أنه تزلق عليه الأقدام ولا تثبت ، انظر: ابن الأثير الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج2 ص 310.

(5) خطا طيف : جمع خطاف ، وهو الحديدة المعوجة كالكلوب ، يختطف بها الشيء ، أنظر ابن الأثير الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ص 49.

(6) حسكة : الحسك : نبات له ثمرة تعلق بأصواف الغنم ، وصارت حسكة أي شوكة ، والحسكة شوكة صلبة معروفه أنظر لسان العرب مادة " حسك ".

(7) عقيفاء : معوجة ، العقف: العطف والتلويه والأعقف المنحني المعوج ، العقفاء حديدة قد لوي طرفها وفي حديث القيامة لها شوكة عقيفة أي ملوية كالصنارة ، أنظر : لسان العرب مادة " عقف ".

(8) الركاب : : هي الإبل التي يسار عليها ، أنظر : أبو عبيد القاسم بن سلام ، غريب الحديث ، ج2 ، ص 69.

(9) وردت مكدوش في روايات الحديث ، والكدس والكدش : السوق الشديد والكدش : الطرد والجرح أيضا أنظر : ابن الأثير الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج4 ، ص 155.

(10) صحيح مسلم ج1 ، ص 163.

(1) انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج 8 ، ص 515 – 1516 ، الحديث 4780.

(2) انفقهت : انفتحت واتسعت واشتقاقة من الشق والفتح ، أنظر لسان العرب مادة " فقه ".

(3) صحيح مسلم، ج1، ص 163

(4) سنن الترمذي، ج5 ، ص 367.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والضيق الذي يلقاه الناس . ويصور الناس كذلك في الجنة ، وهم ينعمون بإكرام الله لهم . ويقصر وصف النار على وصف حال الناس فيها ، ففي أحد النصوص عن أهل النار :" وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل [1].

ج- الألفاظ ذات الدلالات الخاصة في نصوص الحديث القدسي :

قلنا إن نصوص الحديث القدسي عنيت بتجلية معاني الربوبية والعبودية . وقد كثر نداء الله " للعبد " كما كثر نداء العبد لربه . وقد نادى الله تعالى العبد في مواضع كثيرة . في الحديث " بـ" ابن آدم " ولاشك أن تكرار هذه التسميات بعينها له دلالات خاصة ، في هذه النصوص . وسوف أحاول في الفقرات الآتية دراسة دلالات ألفاظ " الرب" والعبد" وابن آدم ".

1.الدلالات الخاصة لـ : الرب ، ربنا ، ربي :

يخاطب الملائكة الله تعالى ، في نصوص الأحاديث القدسية بلفظ : الرب ، وينادونه : ربنا . ويخاطب العبد والعباد الله تعالى أيضاً بلفظ الرب فينادونه : يا ربنا ، أي ربّ ، ربنا ، إلى غير ذلك . ويكثر دوران هذا اللفظ في الحديث القدسي ، بحيث يشكل ظاهرة فيه . وقد وردت مادة :" رب ب " في نحو ثلاثة وثمانين موضعاً في عينة شملت مائة وخمسة وعشرين حديثاً قدسياً . وتتوزع هذه المواضع على أساس :" ربّ " المضافة إلى ياء المتكلم في نحو أربعين موضعاً ، ثم إضافة : ربّ " إلى نا"المتكلمين" في موضعين. وتأتي كلمة " الرب " معرفة بالألف واللام في ثلاثة مواضع ، ثم عبارة " رب العالمين " في ستة مواضع ، وتأتي " ربكم " وربك " في ستة مواضع . أما باقي المواضع فيكون فيها " ربهم " " وربه " وغيرها .

ونحاول أولاً أن نقف على معنى " رب ب " في المعاجم العربية حتى نتمكن من إدراك دلالتها في نصوص الأحاديث القدسية يقول ابن الأنباري: " الرب ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرب المالك ، ويكون الرب السيد المطاع ....ويكون الرب المصلح ، رب الشئ إذا أصلحه "[1] وقال ابن منظور :" الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم "[2] . ويقول صاحب تاج العروس :" الرب هو الله عز وجل ، وهو رب كل شي أي مالكه له الربوبية على جميع الخلق لاشريك له ، وهو رب الأرباب ومالك الملوك " [3] ولما كانت الربوبية عندهم لاتكون إلا لله فقد ورد في حديث أبي هريرة " لا يقل المملوك لسيده ربي " يقول الزبيدي :" كره أن يجعل مالكه رباً لمشاركة الله في الربوبية "[4] وتحرص المعاجم عامة على صرف كلمة " رب " لله (تعالي) على الرغم من أنها قد جاءت في بعض المواضع بمعنى مالك الشيء ، وسيده ، ولهذا رأوا تقييدها كأن يقولوا : رب الدار وربات الحجال وغير ذلك[5] ويمكننا

---

(1) نفسه ، ج4 ، ص 707.

(1) أنظر : ابن منظور الأفريقي لسان العرب مادة " ربب ".

(2) نفسه مادة " ربب ".

(3) الزبيدي : محمد مرتضي الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق د. عبد العزيز مطر ، منشورات وزارة الإرشاد والأنباء الكويت، 1970م مادة " ربب".

(4) نفسه مادة "ربب ".

(5) أنظر : ابن منظور لسان العرب مادة "ربب .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حصر المعاني المعجمية لهذه المادة في جانبها ذي الصلة بالأحاديث القدسية وذلك بالتنبيه إلى أنها تتصل ، إما بمعنى الرب أي الخالق المالك، وهو الله تعالي وله الربوبية على جميع الخلق أو تتصل بأن الرب هو المصلح والمعبود . يقول الألوسي :" الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية ، .وهي تبليغ الشيء إلى كماله ، بحسب استعداده الأزلي شيئاً فشيئاً كأنها من ربا الصغير كعلا إذا نشأ"[1]. ويقول الطبرسي : " أما الرب فله معان منها ...المربب ومنها المصلح واشتقاقه من التربية يقال : ربيته وربيته بمعنى ، وفلان يرب صنيعته إذا كان ينممها [2]. ولا يطلق هذا الاسم إلا على الله ويقيد في غـــــــيره "[3] . ويقول الراغب الأصفهاني :" الرب في الأصل ، التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام ، يقال ربه ورباه وربيه ، فالرب مصدر مستعار للفاعل "[4].

ونستطيع أن ننظر في نصوص الأحاديث القدسية في ضوء المعنيين الأخيرين ، وهما أن الرب هو الخالق المالك ، أو المصلح . ونستطيع أن نصرف نداء الملائكة لله تعالى " بالرب " إلى المعنى الأول وهو الخالق المالك لكل شئ لأن الملائكة منصرفون للعبادة مطلقاً، وللتسبيح والتقديس . كما يشير القرآن الكريم لهذا [**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**] "سورة البقرة الآية 30" . فقد ورد في الحديث القدسي قول جبريل :" أي رب، وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها "[5] وقول :" الملائكة :" ياربنا، إن عبدك قال مقالة ، لا ندري كيف نكتبها ؟[6] وقول الملائكة :" رب ذاك عبدك ، يريد أن يعمل سيئة – وهو أبصر به- [1] وقول الملك :"أي رب، أذكر أو أنثى [2]. ومثل هذه الشواهد كثيرة ، نكتفي منها بما ذكرنا وواضح منها أن " الرب " هنا بمعنى الخالق المالك . ومثل ذلك أيضاً نداء الجنة والنار إلى ربها فقالت :" رب أكل بعضي بعضاً ... الحديث [3]. ومثل ذلك قول الجنة :" يارب، ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس و سقطهم ؟ [4] .ومثل ذلك قول الرحم وهي تجيب ربها تبارك وتعالى :" بلى يارب "[5] . ويلاحظ أن هذه المواضع

---

(1) الألوسي شهاب الدين محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ط دار الفكر ، بيروت 1989م ، ج1 ، ص77.

(2) ينممها " هكذا وردت " أشار محقق تفسير الطبرسي إلى أنها في بعض النسخ " يتمها " ، انظر : الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ط1 ، دار المعرفة ، بيروت لبنان 1986 ، ج 1، ص 94.

(3) نفسه، ج1 ، ص 94.

(4) الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، أعده للنشر وأشرف على طبعه الدكتور محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأ نجلوالمصرية ، د.ت ، ص 269.

(5) سنن أبي داوود، ج4 ، ص 236.

(6) سنن ابن ماجة، ج2 ، ص 1249.

(1) صحيح مسلم، ج1 ، ص 117.

(2) نفسه، ج4 ، ص 2036.

(3) انظر : ابن حجر العسقلاني فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج6 ، ص 33 ، الحديث رقم 326.

(4) نفسه ، ج13 ، ص 434 ، الحديث رقم 7449.

(5) نفسه ، ج2579 ، الحديث رقم 4830.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي ذكرناها فيها إشارة إلى أن الرب الذي تخاطبه الملائكة وكذلك الجنة والنار، تخاطبه بصفته المالك الخالق لها . ونجد كذلك أن المواضع المذكورة عن الخلق وكتابة الحسنات وكتابة نوع المولود وغيرها تتعلق بصفة الله الخالق المالك.

أما المعنى الآخر وهو أن الرب معناه :"المصلح ، والمربي " فنجده في كثير من النصوص أو في معظم النصوص التي اختصت بالتربية و الإصلاح والعبادة . ولهذا يمكننا تصنيف نداء العباد لربهم في هذه النصوص بأنه نداء لطلب الإصلاح ، وأن الأمر فيها للعباد ، هو أمر الإصلاح والتربية . ومن شواهد ذلك في الحديث القدسي ، يقول الرب عز وجل"من شغله القرآن وذكري عن مسألتي ،أعطيته أفضل ما أعطي السائلين .الحديث [6]

فالرب هنا لاشك هو المصلح ،ودلالة الربوبية هي التربية والحث على تلاوة القرآن الكريم وتعلمه، ومثل ذلك قول العبد :" يارب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ..... ، فقال : يا رب ، كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟... الحديث[1] وعلاقة الربوبية هنا بالتربية والسلوك لا تخفى . ولا تخلو المعاني التي يكون فيها الرب بمعنى المصلح من الصفة الأولى وهي الخالق المالك ، إلا أن حرص هذه النصوص على إرشاد العبد إلى أحسن الصفات وأفضلها يقوي من أن معنى الإصلاح والتربية هو المراد من النصوص التي جاء فيها الرب بمعنى المصلح والمربي ، كما في : حديث المعراج ، وذلك في الحوار الذي بين الرسول (صلي الله عليه وسلم) وموسى (عليه السلام) . إذ يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :" فأتيت على موسى ، فقال ما صنعت ؟ قلت : فرضت علي خمسون صلاة قال: إني أعلم بالناس منك ، إني عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لن يطيقوا ذلك . فارجع إلى ربك واسأله أن يخفف عنك ، فرجعت إلى ربي فسألته أن يخفف عني فجعلها أربعين ... فرجعت إلى ربي (تعالي) فجعلها ثلاثين ، فأتيت على موسى (عليه السلام) ، فأخبرته، فقال لي مثل مقالته الأولى فرجعت إلى ربي فجعلها عشرين ثم عشرة ثم خمسة "[2] ودلالة " الرب " هنا علي التربية والإصلاح واضحة جداً . ولعل فيما استشهد به موسى (عليه السلام) من معالجته لبني إسرائيل ما يقوي هذا المعنى . ومثله قول العبد :" يارب، رجوتك وفرقت الناس "[3] فلجوء هذا العبد للرجاء يؤكد مناسبة ذلك لمعنى المصلح . والشواهد على ذلك كثيرة في نصوص الأحاديث القدسية نكتفي بما ذكرنا منها .

وإذا نظرنا في مضامين الأحاديث القدسية نجد أن هذه الأحاديث تقدم منهجاً تربوياً متكاملاً . ولهذا نجد أن الرب " بمعنى المصلح يناسب المضمون الكلي الذي دعت إليه هذه الأحاديث ، يقول سيد قطب : " فالربوبية المطلقة الشاملة ، هي إحدى كليات العقيدة الإسلامية ،و الرب هو المالك المتصرف ، ويطلق في اللغة على المتصرف للإصلاح والتربيـــة [1].

---

[6] سنن الترمذي ، ج5 ، ص 169.
[1] صحيح مسلم ، ج4 ، ص 1989م.
[2] سنن النسائي ، ج1 ، ص 217.
[3] سنن ابن ماجة ، ج2 ، ص 1332.
[1] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ط7 ، دار إحياء التراث بيروت لبنان ، 1971 م ،ج1 ص 15.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما يقوي عندي أن لفظ "الرب " الذي ورد في هذه النصوص- بكثرة لافتة - يرتبط بالتربية والإصلاح اللذين تدعو إليهما الأحاديث القدسية قول الألوسي عن لفظ الرب :" ويطلق على الخالق والسيد والمنعم والمصلح والمعبود إلا أن المشهور كونه بمعنى التربية ، فلهذا قال بعض المحققين : إنه حقيقة فيه "[2] . ومما يقوي هذا المعنى في نفوسنا علاقته بالعبادة وهي الطاعة والخضوع وتكون للرب (تعالي) . والعبادة تصلح النفس، وتهذبها ، مما يشي بصلتها بالمصلح والمربي . وكل ذلك يؤكد القيمة الدلالية لكلمة "الرب" في نصوص الأحاديث القدسية .

2- الدلالات الخاصة ل : العبد - عبدي - عبادي :

كنا قد ذكرنا أن " العبد " هو أحد أطراف الحوار الرئيسية في نصوص الأحاديث القدسية. وذكرنا كذلك أن في هذه الأحاديث تجلية لمعاني العبودية والربوبية . وهذا يعني أن النصوص السردية كذلك ، تعنى بالعبد ، وتجعله موضوعها الأساس . وقد تكررت مادة "ع ب د " في جميع نصوص الأحاديث القدسية تقريباً .بحيث إذا خلا منها نص بعينه وردت فيه عبارة تشير إلى أن المقصود هو العبد ، كما في قوله : تلقت الملائكة روح رجل ...وغيره .

وقد حاولت إحصاء المواضع التى وردت فيها مادة "عبد " في نصوص الأحاديث القدسية فوجدتها نحو ستة وثمانين موضعاً ، في نحو مائة وخمسة وعشرين حديثاً قدسياً . وقد كانت كلمة " عبدي " المضافة لله سبحانه وتعالى في نحو تسعة وأربعين موضعاً منها ، و " عبادي " المضافة لله تعالى في نحو ستة عشر موضعاً . وكلمة "عبد " غير المخصصة بالإضافة في نحو عشرة مواضع . ووصف العبد بالإيمان "عبدي المؤمن " في ثلاثة مواضع ووردت "العبد " عامة في نحو سبعة مواضع .

ويحسن أن ننظر في معاني كلمة عبد في المعاجم العربية . لنقف ، من بعد ، على دلالاتها في الحديث القدسي . يقول ابن منظور : " العبد " الإنسان حراً كان أو رقيقاً ، يذهب بذلك إلى أنه مربوب لباريه (تعالي) ... والجمع أعبد وعبيد مثل كلب وكليب ، وهو جمع عزيز، وعباد وعبد ، مثل سقف وسقف [1] ونجد أن صيغة الجمع الوحيدة الواردة في نصوص الأحاديث القدسية هي "عبادي " يقول ابن منظور : " وجعل بعضهم " العباد " لله وغيره من الجمع لله والمخلوقين[2] . ولعل ما ورد في الأحاديث القدسية يؤكد اختصاص صيغة "عباد " بالله (I) . ويميز الاسلام بين " العبيد " والمملوكين "و " عباد الله تعالى" فالإنسان لا يكون عبداً أو أمة إلا لله تعالى . ففي حديث أبى هريرة " لا يقل أحدكم لمملوكه عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي ... " يقول ابن منظور : " هذا على نفي الاستكبار عليهم وأن ينسب عبوديتهم إليه ، فإن المستحق لذلك الله تعالى، هو رب العباد كلهم والعبيد ..[3]. ويقول الأزهري : " اجتمع العامة على تفرقة ما بين عباد الله والمماليك، فقالوا:

---

[2] الألوسي ، شهاب الدين ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص77.

[1] لسان العرب مادة " عبد"..

[2] نفسه مادة "عبد".

[3] نفسه مادة " عبد".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا عبد من عباد الله ، وهؤلاء عبيد مماليك ...ولا يقال عبد يعبد عبادة إلا لمن يعبد الله "[1] ولم يرد لفظ " أمة " المقابل لعبد في نصوص الأحاديث القدسية . ولعل السبب في ذلك أن " عبد " تعني الذكر والأنثى كما نص على ذلك ابن حزم في قوله :" العبد يطلق على الذكر والأنثى[2] . وكذلك لأن استخدام " عبد " في معظم هذه النصوص جاء ليكون نموذجاً لعباد الله من الذكور والإناث .

ومن المصـادر ذات الصـلة الوثيقة بالحديث القدسـي العبادة والعبودية يقول الفيروزآبادي :" العبادة الطاعة ، وهي أبلغ من العبودة لأنها غاية التذلل لا يسـتحقها إلا من له غاية الأفضـال وهو الله تعالى :"[3] ويقول الزبيدي :" العبودية والعبودة - بضمهما - الطاعة . وقال بعض أئمة الاشتقاق : أصل العبودية الذل والخضوع والعبودية الرضا بما يفعل الرب، والعبادة فعل ما يرضـى به الرب . فلذا قيل تسـقط العبادة في الآخرة لا العبودة، لأن العبودة أن لا يرى متصـرفاً في الدارين في الحقيقة إلا الله[4]. ونجد خلاصـة القول في هذا الأمر عند الراغب الأصـفهاني في قوله :" العبودية إظهار التذلل ، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل"[5] ،ويقسـم الراغب الأصـفهاني العباد والعبيد إلى أربعة أضرب :" الأول : عبد بحكم الشرع، وهو الإنسان الذي يصح بيعه وابتياعه ، نحو قوله تعالى:(العبد بالعبد). والثاني : عبد بالإيجاد ، وذلك ليس إلا لله ، وإياه قصـد بقوله تعالى:" [**)إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً**] والثالث : عبد بالعبادة والخدمة . والناس في هذا ضـربان : عبد الله مختصـاً ، وهو المقصـود بقوله : [**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ**] **(صّ: 41)** وقوله : [**)إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُـلْطَانٌ**] **(الحجر: 42)** ... وقوله:[**)وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُـونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً**] **(الفرقان: 63)** وغير ذلك . وعبد للدنيا وأعراضـها وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها وإياه قصـد النبي بقوله :" تعس عبد الدرهم ، وتعس عبد الدينار " وعلى هذا النحو يصـح أن يقال : ليس كل إنسـان عبداً لله. فإن العبد على هذا بمعنى العابد، لكن العبد أبلغ من العابد . والناس كلهم عباد الله ، بل الأشـياء كلها كذلك لكن بعضـها بالتسخير وبعضـها بالاختيار[1] وإذا نحن نظرنا في نصوص الأحاديث القدسية نجد أن مادة " ع ب د " تأخذ معنى " عبد " لله بحكم الإيجاد وذلك لا يكون إلا لله تعالى . وهذه عبودية مطلقة لا يشـاركه فيها غيره وهي التي سـمتها المعاجم " العبودة " كما أشـرنا من قبل . ولا نفرق في هذا ما بين عبد تقي صـالح ، وعبد مؤمن عاص . فنحن نقرأ في الحديث القدسـي :" قال الله - تبارك وتعالى - للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشـاء من عبادي وقال

---

(1) الأزهري ، أبو منصـور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السـلام هارون ، ط دار المؤسـسـة المصـرية العامة للتأليف ، القاهرة 1964م، مادة " عبد ".

(2) تاج العروس مادة " عبد ".

(3) الفيروزابادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق عبد الحليم الطحاوي ، ط المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان د . ت ، ج4 ، ص 9 .

(4) تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة " عبد ".

(5) المفردات في غريب القرآن ، ص 479.

(1) نفسه ، ص 479- 480.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي "[2] . وفي هذه الحال تكون لفظة " عباد " تعني عبودية الخلق المطلقة لله تعالي فكلهم عباده ، فتكون كلمة "عباد " هنا محايدة يحددها السياق . والعبودية تكون في هذا المقام عبودية إيجاد ، ولهذا فهي تشمل الإنس والجن ففي الحديث القدسي :"يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم و أنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ...ولو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ..الحديث[1] فالعباد المخاطبون هنا يشملون الإنس والجن والأتقياء والفجار وغيرهم . وتأخذ كلمة " العبد " معنى العابد - وهي مأخوذة من العبودية بمعنى الطاعة - في معظم نصوص الأحاديث القدسية . وهي التي سماها الراغب " عبد بالعبادة "[2] من ذلك ما ورد في الحديث القدسي: " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله (تعالي) :

(حمدني عبدي) . وإذا قال العبد : (الرحمن الرحيم) ، قال الله عز وجل : "أثنى علي عبدي " ، وإذا قال : الحديث ...[3]. وهذا مقام عبادة ، فالعبد هنا هو العابد الذاكر المصلي . ومثله ما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ε) حدثهم ، أن عبداً من عباد الله قال :"يارب، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك فعضلت [4] بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها..[5].

فالعبد هنا بمعنى العابد أيضاً . ومن المواضع التي يكون فيها العبد بمعنى العابد الذاكر أيضاً ما ورد في شأن عبد الله والد جابر الصحابي : ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً فقال : يا عبدي، تمن علي أعطك ...الحديث[6] . ومنها قوله في شأن العبد المجاهد : انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي . وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه ؟[1] ومنه قوله :" ما يقول عبادي ؟ .. يقولون :يسبحونك ويكبرونك ، ويحمدونك ويمجدونك ... الحديث[2] ولا شك أن "عبادي " في هذا النص تعني العباد الذاكرين العابدين. وفي الألفاظ الدالة على الذكر التي اشتمل عليها خير دليل .وقد يخصص العبد بوصف ، يدل على أن العبد المقصود هو العبد الصالح المؤمن . فقد ورد في

---

(2) أنظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج8 ، ص 595 ، الحديث رقم 4850.
(1) صحيح مسلم، ج4 ، ص 1994.
(2) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 479 . أنظر : كذلك المودودي ، المصطلحات الأربعة في القرآن، ص 99- 107.
(3) صحيح مسلم، ج1 ، ص 9295.
(4) فعضلت : صعبت ، يقال : أعضل بي الأمر إذا ضاقت عليك فيه الحيل ، أنظر : ابن الأثير الجزري : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج3 ، ص 253 – 254.
(5) سنن ابن ماجة ، ج2 ، ص 124.
(6) سنن الترمذي، ج5 ، ص 230.
(1) سنن أبي داود، ج3 ، ص 19.
(2) أنظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج 11، ص 208- 209 ، الحديث رقم 6408

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحديث القدسي :" وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته "[3] . ومثله قوله :" أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " [4] .ومثله قوله :" ما لعبدي المؤمن عندي جزاء ، إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ، ثم احتسبه إلا الجنة "[5] . و معظم المواضع التي أضيف فيها العبد لله تعالى ، تكون موضع إكرام ورضاً ، وتصف عبداً له شأن عند الله . من هذه النصوص ما ورد في شأن العبد المريض الصابر الذي يحمد الله لعواده ، ويثني عليه ، ويسترجع . فيقول الله :" لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة ، وإن أنا شفيته أن أبدل له لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، وأن أكفر عنه سيئاته[6] ومثله قوله في عبده الصابر على مصيبة فقد ولده :" ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد"[1] و تكون دلالة " عبد " ، على العبد بالعبادة " أشد وضوحاً في النص الذي يقرن بينهما وبين الولاية . وهي مرتبة لا يصل إليها العبد الذاكر فحسب بل المداوم على الذكر . وذلك في قوله " من عادى لي ولياً ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشئ أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ، ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت ، وأنا أكره مساءته [2] . وقد أشار ابن تيمية في مواضع كثيرة من فتاويه إلى أن هذا الحديث فيه تفريق واضح بين " العبد " و" الرب " وهو ينفي بذلك ما ذهب إليه القائلون بالاتحاد وينفي ما ذهب إليه الحلولية . ويقول موضحاً الفهم الصحيح لهذا الحديث " فهؤلاء الذين أحبوا الله محبة كاملة ، تقربوا بما يحبه من النوافل بعد تقربهم بما يحبه من الفرائض . أحبهم الله محبة كاملة حتى بلغوا ما بلغوه ، وصار أحدهم يدرك بالله ، بحيث إن الله يجيب مسألته ، ويعيذه مما استعاذ " [3]. وقد خوطب العبد في نصوص الأحاديث القدسية ب " ابن ادم " وهو ما نقف على دلالته لاحقاً .ولأبي الأعلى المودودي رسالة فصل القول فيها في معاني أربعة مصطلحات في القرآن الكريم هي الإله والرب والعبادة والدين . وهو يرى أن الفهم الحقيقي للدين لا يتم إلا بفهم هذه المصطلحات على وجهها الدقيق . ويرى أن العرب الأوائل كانوا يفهمونها على وجهها . يقول :" ومن ثم إذا قيل

---

(3) نفسه ، ج11 ، ص 340 الحديث رقم 6502.
(4) صحيح مسلم ، ج4 ، ص 174.
(5) أنظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج 11 ، ص241 - 242 ، الحديث رقم 6424.
(6) مالك بن أنس ، الموطأ ، تحقيق د. محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، 1975م، ج2 ص 940 – 941..
(1) سنن الترمذي ج3 ص 341.
(2) أنظر ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج 11 ، ص 340 ، الحديث رقم 6502.
(3) ابن تيمية ، مجموع الفتاوي ، ج1 ، ص 755.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لهم : لا إله إلا الله ولا رب سواه ولا شريك له في ألوهيته وربوبيته ، أدركوا ما دعوا إليه تماماً ، وتبين لهم من غير لبس ولا إبهام أي شئ قد نفاه القائل ...فالذين كفروا إنما كفروا عن بينة ...وكذلك من آمن فقد آمن عن بينة[1].

وقد وقف المودودي على معاني كلمة "الرب" في القرآن الكريم وحصرها في خمسة معان :

أولها : أن الرب هو المربي الكفيل بقضاء الحاجات والقائم بأمر التنشئة والتربية .

وثانيها : الكفيل الرقيب والمتكفل بالتعهد وإصلاح الحال . وثالثها : السيد الرئيس الذي يكون في قومه كالقطب يجتمعون حوله . ورابعها: السيد المطاع والرئيس وصاحب السلطة النافذ الحكم وخامسها : الملك والسيد[2] وتتبع المودودي كذلك استخدام مصطلح العبادة في القرآن الكريم [3]وخلص إلى أنها جاءت بمعنى العبودية والإطاعة كما في قوله تعالى : [**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون**] "سورة البقرة الآية 172 " . ووردت أيضا بمعنى العبدية والإطاعة والتأله أي التنسك ، وهذا المعنى كثير الورود في القرآن الكريم ، من ذلك قوله تعالى :[**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم . إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**] "سورة غافر الآية 60" وغير ذلك من المعاني. ويماثل استخدام " الرب" و " العبد " في الحديث النبوي الشريف استخدامها في القرآن الكريم . ومن مظاهر استخدامها فيه ما يختص بالتنسك والعبادة والطاعة . يقول الرســـول (ε) :" فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء[4]. وقد وردت بذات المعاني التي أشرنا إليها عند حديثنا عن القرآن الكريم .وكنا قد ذكرنا أن كلمة الرب وردت في الأحاديث القدسية بمعنى المربي القائم بأمر التنشئة والتربية . وقد اختصت الأحاديث القدسية بهذا المعنى وغلب عليها دون غيره . أما العبادة فقد جاءت في الحديث القدسي بمعنى عبودية العبادة ، والطاعة ، والتنسك . و هذا المعنى الأخير للعبادة في الحديث القدسي بمعنى التربية والتنشئة .ولكل ذلك نجد تقابلاً واضحاً في هذه النصوص بين (الرب)و(العبد).واختصاص الحديث القدسي بهذا التقابل يوافق مبدأ الاتساق والانسجام الذي يمثل خصوصية للأحاديث القدسية .وهو انسجام يقوم على مستوى المعاني والمضامين ؛ويقوم بهذا أيضاً على المستوى المعجمي .

3 الدلالات الخاصة لكلمة "ابن آدم "في نصوص الأحاديث القدسية :

ومن الألفاظ التي كثر ورودها فى نصوص الأحاديث القدسية "ابن آدم "ويأتي "ابن آدم " في هذه النصوص منادى من الله تعالى .وذلك في النصوص القائمة على الحوار أو المخاطبة العامة .وهو يرد كذلك في الأحاديث القدسية التي تقوم بنيتها على السرد .وقد ورد "ابن آدم "في عشرين موضعاً في نصوص الأحاديث القدسية في عينة جاوزت المائة بنحو خمسة وعشرين حديثاً:منها أربعة عشر موضعاً يكون ابن آدم فيها موضع نداء من الله تعالى وستة مواضع

---

(1) أبو الأعلى المودودي ، المصطلحات الأربعة في القرآن ، ص 9 .
(2) أبو الأعلى المودودي ، المصطلحات الاربعة في القرآن ، ص 37.
(3) أنظر : نفسه ، ص 94 – 115.
(4) أنظر : ابن حجر العسقلاني فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج8 ، ص 26 الحديث 4312.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في النصوص السردية .وآدم المعني هو أبو البشر (υ) وقولنا ابن آدم أو بني آدم ،نعني بهم مطلق الناس .ولا نعني ابناً بعينه لآدم أو أبناء له بأعيانهم . ولا تقدم لنا المعاجم العربية إضاءة تفيدنا في هذا الباب .ويمكننا الوقوف على المواضع التي ورد فيها ذكر "ابن آدم" في القرآن الكريم . فقد ورد نداء بني آدم في القرآن الكريم في سبعة مواضع، خمسة منها في سورة الأعراف ، وواحد في سورة الإسراء وواحد في سورة يس. منها قوله تعالى :[**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً** ..]"الآية سورة الأعراف الآية 26". وقوله سبحانه :[**يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ** ...] "الآية سورة الأعراف الآية 27" وقوله سبحانه : [**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ** ...] "سورة الأعراف الآية 31". والنداء في هذه الآيات كما يقول ابن عطية :" هذا خطاب لجميع الأمم وقت النبي (ε) ويقول : هذا خطاب عام لجميع العالم . وأمروا بهذه الأشياء بسبب عصيان حاضري ذلك الوقت من مشركي العرب فيها . والزينة ها هنا الثياب الساترة[1].

ويخلص سيد قطب بعد استعراض الآيات التي نودي فيها بنو آدم في سورة الأعراف. إلى أنها جاءت ": تذكيراً.....بذلك المشهد الذي عاناه أبواهم وبنعمة الله في إنزال اللباس الذي يستر العورة والرياش الذي يتجمل به ... أما .. هذا النداء فهو التحذير لبني آدم عامة . وللمشركين الذين يواجههم الإسلام في الطليعة ، أن يستسلموا للشيطان فيما يتخذونه لأنفسهم من مناهج وشرائع وتقاليد . فيسلمهم إلى الفتنة كما فعل مع أبويهم من قبل ، إذ أخرجهما من الجنة .. فلا يدع بنو آدم لعدوهم أن يفتنهم وأن ينتصر في هذه المعركة .. وأن النداء لبني آدم جاء بشأن القضية الكلية التي ربطت بها قضية اللباس ..وهي قضية التلقي والاتباع في شعائر الدين وشرائعه . وفي أمر الحياة كلها ، وأوضاعها . وذلك لتحديد الجهة التي يتلقون عنها ، أنها جهة المرسلين المبلغين عن ربهم[2] . ونأخذ من الأقوال السابقة أن النداء في القرآن جاء لبني آدم أي للناس كافة - مسلمهم ومشركهم - وقد جاء في قضايا كبرى منها مسألة التلقي والاتباع ، أى المصدر الأساس الذي يستقي منه الناس شرائعهم . والمسائل التي ذكر فيها بنو آدم تتصل بجنس بني آدم ، ومنها اللباس والزينه وغيرهما لأن الستر يهم كل إنسان . وإذا نحن نظرنا في نداء ابن آدم في الأحاديث القدسية نجد أنه لم ينادِ به الجمع "بنو آدم " وإنما جاء النداء للمفرد "ابن آدم ". وقد لاحظت من خلال استقرائي للمواضع التي نودي فيها ابن آدم ، في الحديث القدسي أنها تعني المسلم أو "العبد المطيع " ،ولكنها تعالج فيه خصلة يتصف بها جنس ابن آدم بطبعه . فعلى سبيل المثال نجد أن ابن آدم بطبعه حريص على ماله ، وقد يمسكه عن الآخرين فيأتيه الخطاب من الله تعالى ، في الحديث القدسي :"أنفق يا ابن آدم أنفق عليك "[1] .فبهذا الوعد من الله تعالى لابن آدم بأن ينفق عليه ، يعالج ما في نفسه من الحرص والجشع . ولا تطهر نفس ابن آدم إلا باتباعها منهج الله تعالى . وقد خاطبه في الحديث القدسي :" يا ابن آدم ، اثنتان لم تكن لك واحدة منهما جعلت لك نصيباً

---

[1] ابن عطية الأندلسي ، أبو محمد عبد الحق ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ورفيقيه ، ط د. ن ، الدوحة قطر ، 1977م، ج5 ، ص 469.

[2] في ظلال القرآن ج8 ص 499 .

[1] صحيح ، مسلم ج2 ،ص 638.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من مالك حين أخذت بكظمك لأطهرك به . وصلاة عبادي عليك بعد انقضاء أجلك "[2]. وإذا أيقن ابن آدم بوعد الله أنفق من ماله وإلا وجدناه يغالب نفسه بالنذر حتى يخرج من ماله، لأن حب المال متأصل في نفسه . ففي الحديث القدسي :" لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدرته ،ولكن يلقيه القدر وقد قدرت له ، استخرج به من البخيل "[3] . وإذا طابت نفس ابن آدم وطهرت وتصدق لوجه الله تعالى أصبح لا تضارعه قوة من شرفه وعلو منزلته عند ربه ففي الحديث القدسي . قول الملائكة لله تعالى :" يارب ، فهل من خلقك شئ أشد من الريح ؟ قال : نعم ابن آدم تصدق بصدقة يمينه يخفيها من شماله "[4] .

و يتصف ابن آدم بطبعه بالغدر ،إذا لم يطهر نفسه ويزكها بالعبادة . وقد جاء ذكر الغدر في الحديث القدسي ، لأنه خصيصة لابن آدم إذا كان جاهل الطبع ، إذ يخاطبه ربه: " ويلك يا ابن آدم ، ما أغدرك ؟[1] وذلك لما أخرجه من النار فأخذ يعاهد ربه ألا يسأله غير ذلك . فأخذ كلما رأى منظراً في الجنة يطلب من ربه أن ينقله إليه ، وينسى عهده لربه ، وربه يعذره ، كما جاء في الحديث القدسي نفسه ، ويكرمه ربه في خاتمة الأمر . وهذا الوصف الأخير يؤكد وجود غريزة الطمع عند " ابن آدم " بطبعه . ومن المواضع التي نودي فيها ابن آدم ، وتؤكد ما ذهبنا إليه هنا من أنها تتصل بطبع آدمي يحرص الحديث القدسي على معالجته في العبد ، قوله :" يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي ، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم ،إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ، لأتيتك بقرابها مغفرة [2] فالحديث القدسي يعالج هنا في نفس العبد صفة آدمية ، هي القنوط واليأس إذا كان عبداً مذنباً غاية الذنب . ويفتح له الحديث القدسي باب التوبة والمغفرة مهما تبلغ ذنوبه ، ولو بلغت عنان السماء ، كناية عن عظم ما افتراه هذا العبد ، عندما غلبت عليه صفاته الآدمية.

ويعالج الحديث القدسي صفة أخرى في ابن آدم هي الغفلة ، وابن آدم نساء فيخاطبه ربه :" ابن آدم، اركع لي من أول النهار أربع ركعات ، أكفك آخره "[3] ويخاطبه بقوله:"ابن آدم ، لا تعجزني من أربع ركعات في أول نهارك أكفك آخره "[4] . وقد تمتد الغفلة بالعبد فتغلب عليه صفاته الآدمية ، فيذكره ربه بقوله :" يا ابن آدم ، تفرغ لعبادتي ، أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ،وإلا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسد فقرك "[1] وكذلك يعالج هذا النص نفس ابن آدم التي تنشغل بالخوف على الرزق وتطمع في كل شئ فيعده ربه إن أطاع أن يرزقه القناعة والطمأنينة فتمتلئ نفسه بالإيمان ، فلا يغفل عن ربه .

---

[2] سنن ابن ماجه ، ج2 ، ص 904.
[3] انظر : ابن حجر العسقلاني فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج11 ، ص 357 ، الحديث رقم 6609.
[4] سنن الترمذي، ج5 ، ص 423 – 424.
[1] صحيح مسلم ، ج1 ، ص 163
[2] سنن الترمذي ، ج5 ، ص512.
[3] سنن الترمذي ، ج2 ، ص 340 .
[4] سنن أبي داود ، ج2 ، ص 28.
[1] سنن الترمذي ، ج4 ، ص 642 – 643.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتسلك الأحاديث القدسية في سبيل توجيه العبد وإرشاده إلى تذكيره بصفات أخرى يتصف بها كل آدمي .ويجب أن يكون سلوك ابن آدم "العبد " فيها قائماً على طاعة الله تعالي . ويجب أن يحمله فهمه لهذه الصفات الآدمية والحاجات الإنسانية إلى التكافل والتواصل وفعل الخير . من ذلك ما ورد في الحديث القدسي : (إن الله (تعالي) يقول يوم القيامة : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدني قال : يارب ، وكيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم ، استطعمتك فلم تطعمني ،قال : يارب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ،قال :يا رب ، وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى)[2]. ونلحظ أن هذه المواضع التي يذكر الله تعالى ابن آدم بها هي من حاجات "ابن آدم" من حيث هو ، فالاستسقاء والإطعام من مطالب كل البشر ، لهذا جاء النداء للحث عليها بصيغة ابن آدم ، وكذلك هي ترتبط بمعالجة الشح في نفس ابن آدم وتحمله طائعاً على التكافل بين عباد الله .

وقد يأتي نداء "ابن ادم " في موضع التذكير بأصله ، وقد خلق أبوه آدم من تراب ، وخلق هو من نطفة ، فكيف يتحدى ربه ويغفل عن ذكره ؟ ففي الحديث القدسي عن بسر بن جحاش (رضي الله تعالي عنه قال: (بزق النبي (صلي الله عليه وسلم) في كفه ثم وضع إصبعه السبابة ، وقال : يقول الله (تعالي) : أنى يعجزني ابن آدم وقد خلقتك من مثل هذه..... الحديث"[1]. وقد ذكر ابن آدم أريد به جنس ابن آدم ، أو من أنكر البعث منهم ، كما في الحديث القدسي: (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي ، فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من آخره وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدا ، وأنا الأحد الصمد ، لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد)[2] .ومن مواضع الذم الأخرى التي ذكر فيها ابن آدم قوله : (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر ، أقلب الليل والنهار)[3]. ولا يخلو ذكر ابن آدم في الحديثين الأخيرين من التذكير له بأصله ، وقد خلقه الله تعالى ، فكيف يتجرأ على ربه ويقول ما قاله في هذا الموضع ؟

د. الدلالات الكبرى (المفاهيم) :

يجد الناظر في نصوص الأحاديث القدسية أن الصيغ الفعلية هي الغالبة في هذه النصوص إذا ما قورنت بالصيغ الإسمية ، وأحسب أن لهذا الأمر ارتباطاً وثيقاً بلغة الحوار والمشافهة التي في هذه النصوص . وأكثر هذه الصيغ ظهوراً هي مشتقات فعل القول . وتحفل معظم النصوص بالتعبير عن الدلالات الكبرى فيها بالصيغ الفعلية : يسبحونك ، يمجدونك .. فهي تستخدم هذه الصيغ بدلاً عن استخدامها لصيغ المصادر من هذه الأفعال وهي :

---

(2) صحيح مسلم ، ج4 ، ص 1989.
(1) سنن ابن ماجه ، ج2 ، ص 903.
(2) أنظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، ج8 ، ص 739 الحديث رقم 4974.
(3) نفسه ، ج8 ، ص 574 ، الحديث رقم 4826.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التسبيح والتكبير والتمجيد وغير ذلك . ونجد أن نصوص الأحاديث القدسية التي تقوم على الحوار تعبر في الغالب عن دلالة كبرى يدعو إليها النص . ويستنتج القارئ هذه الدلالات أو المفاهيم الناتجة عن هذا الحوار . وقد يخلو النص من أي ذكر مباشر لهذه المادة ، وقد يشير إليها بدالة من دوالها . فنجد على سبيل المثال في الحديث القدسي ، الذي أخرجه الترمذي عن أبي موسى الأ شعري (رضي الله تعالي عنه) ، أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال : (إذا مات ولد العبد ، قال الله لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول الله : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد[1]. فهذا الحديث يدل على الصبر والاحتساب وقبلهما الذكر " الحمد " ، عند هذا الموقف ، ففي هذا الحوار لم يذكر هذه المصادر بصيغها الإسمية وإنما أفادتها فحوى الحوار . ونجد أن هذه الصيغ الإسمية " المصادر " هي التي تعبر عنها نصوص الأحاديث القدسية .ونذكر فيما يأتي أهم الدلالات الكبرى التي استخرجناها من هذه النصوص . فمن هذه الدلالات ، العبادة وأول دلالات وجودها تكرار لفظ " العبد" في هذه النصوص على نحو ما ذكرناه . ثم نجد أصناف العبادة، وأساسها التوحيد والإيمان والذكر والتحميد والتمجيد والتكبير واليقين والخشوع والحضور في العبادة ، والإخبات - والذكر والتوكل ، والرحمة ، والتقرب لله والقرب منه والخلوة بالذكر في بعض الأوقات وسؤال العبد لربه ومناجاته له ، وطلب العطاء والاستغفار والدعاء والرجاء والدعاء والحب : حب الله للعبد وحب العبد لربه ، وحب الملائكة للعبد ، والقبول للعبد من أهل الأرض والولاية والعبودية ، والتقرب لله ، والقرب منه ، والعون من الله للعبد ، وإكرام الله للعبد ، والخشية من الله والخوف منه ، والتسليم لأمره تعالى ، ومواصلة الأرحام بقصد البر لهم ، والتراحم بين العباد ليتعرضوا لرحمة الله تعالى ، وحب الرسول (صلي الله عليه وسلم) ، ورجاء العبد أن يكون في شفاعته (صلي الله عليه وسلم) ، والخشوع في الصلاة وأن يعقل العبد فيها ، فليس له من صلاته إلا ما عقل ، والمداومة على الذكر وطلب أوقات الرحمة ، والتعرض لها، والاهتمام بالنوافل من العبادات بعد الاهتمام بالفرائض ، وانتظار أوقات العبادة بشوق ، والإنفاق والإخلاص فيه ، والتطهر عن الأغراض الدنيوية في الإنفاق والجهاد وطلب العلم وتعليمه للناس ، فلابد في ذلك من خلوص النية لله تعالى .ومن هذه المعاني أيضاً الرغبة فيما عند الله ، والرهبة مما عنده ، وأن تكون الأعمال على هذا الأساس، وأداء الأمانات إلى أهلها وحفظ العهد ، والصبر على المصائب ، والصبر عند المرض ، والاحتساب والعدل والإنصاف وكون رحمة الله تغلب على غضبه ، والتوبة ، والمعية ، معية الله للعبد ، وحسن الظن بالله والرضا بالقضاء والقدر والتواضع لله تعالى والتكافل بين الناس ، والتجاوز في الدين على المعسرين ، والتحاب لوجه الله ، والتجالس فيه ، وكذلك التزاور ، والتباذل ، وإطعام الطعام، وعيادة المرضى ، وإسقاء الناس وطلب الهداية من الله تعالى ، والتوجه لله في أمور الرزق من الكساء والطعام ، والعدل بين الناس ، والتواضع لله تعالى ، والتواضع لعباد الله الصالحين والصبر على الأذى ، والصبر على الابتلاء عامة ، وطاعة الله في كل أمر ، والاستغفار والإخلاص في العمل ، والتصدق سراً بحيث لا يعلم الناس بذلك والإكثار من الصلاة

---

[1] سنن الترمذي ، ج3 ، ص 3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتسليم على رسول الله (ε) والتوحيد وخلوص النوايا في الأعمال كلها ، وعدم الرياء في الأعمال وحب العبد للقاء الله تعالى ، والدعاء وطلب الشفاعة يوم القيامة ، وأن يربط العبد نفسه دائماً بالله تعالى ، والاستعداد للدار الآخرة دائماً ، والتيقن من نوع الحياة في الجنة وما فيها من نعيم دائم وما فيها من خلود وما يسبغه الله تعالى على عباده من نعيم الرضا والرؤية وغيرها . فتلك جملة المعاني الكبرى التي تتصل بالعبادة والسلوك وتعتني بسريرة العبد وقلبه . وقد استخلصناها من نصوص الحوار التي قل فيها ذكر هذه المصادر بالصيغ الإسمية ، وإنما جاءت على شكل لغة الحوار وهي لغة حية بالصيغ الفعلية . وأنا أدرك أن بعض هذه المصادر قد تكرر مرات عديدة . وقد قصدت أن أبين ذلك لنؤكد به أهميتها.

ونجد أن كثيراً من المصطلحات التي اعتمد عليها من اعتنوا بالسلوك والتربية من المسلمين على تنوع اجتهاداتهم وجعلوها الطابع الأول في العبادة، مأخوذة من نصوص الأحاديث القدسية. ولا تكاد فرقة من فرق المسلمين وطوائفهم ، تغفل الدعوة لإصلاح السرائر لأنها أساس العبادة . وقد رأينا أن العبادة التي تخلو من النية والإخلاص لا مكانة لها عند رب العالمين . وكنت قد أشرت في موضع سابق من هذا البحث إلى أن المتصوفة قد استفادوا من نصوص هذه الأحاديث القدسية في كثير من نظراتهم ونجد أن ابن تيمية - وهو من أعلام السلف - وكان يخالف الصوفية في كثير من اجتهادا تهم ، قد استخدم معجم الأحاديث القدسية في مؤلفاته . وهو معجم متصل بالسلوك والتربية . ونجده قد سمى الجزء العاشر من فتاويه " كتاب السلوك " واستشهد بكثير من نصوص الأحاديث القدسية[1] . وتكلم على المقامات والأحوال إذ يقول : (فهذه كلمات مختصرات في أعمال القلوب التي تسمى " المقامات والأحوال " وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين[2] وبين أن (أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها)[1]. ونجده تكلم على الحب والتوكل والرجاء والخوف والصبر والشكر وغيرها من قواعد الدين العظيم[2].

ونجد مثل هذه المصطلحات في معجم التصوف ، وإذا نحن نظرنا في أي من كتبهم وجدناهم يستشهدون بنصوص الأحاديث القدسية على مقاماتهم وأحوالهم . وقد خلص الدكتور عبد القادر محمود في كتابه عن فلسفة التصوف إلى أن الأحاديث القدسية هي أحد الأركان التي قامت عليها مذاهب التصوف[3] ونجد أن بعض مؤلفاتهم مثل الفتوحات المكية لابن عربي والمناظر الإلهية لعبد الكريم الجيلي ، والمواقف والمخاطبات قد اعتمدت في عباراتها وألفاظها على الحديث القدسي . ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما نجده في كتاب المواقف والمخاطبات للنفري من المواقف الآتية : موقف عنده

---

(1) أنظر : ابن تيمية ، مجموع الفتاوي ، ج10 ، ص 58،7،6،وانظر كذلك : ج11 ، ص223 ، وانظر كذلك ، ج5 ،ص 374 وانظر كذلك : ج18 ، ص 129 ، وانظر ج11 ،ص 284 – 292 .

(2) نفسه ،ج10 ، ص 10.

(1) نفسه ، ج10 ، ص 15.

(2) نفسه ، ج10 ، ص 10.

(3) انظر : د. عبدالقادر محمود ، الفلسفة الصوفية في الإسلام مصادرها ونظرياتها ومكانتها بين الدين والحياة ، ط دار الفكر العربي بالقاهرة، د. ت ، ص52،45.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو ما يسمى بالعندية[4] ففي الحديث القدسي : " أنا عند ظن عبدي بي "[5] وموقف الكبرياء[6] وفي الحديث القدسي " الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار[7] . وموقف إقباله[8] وفي الحديث القدسي:" وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ... الحديث[9]

" وموقف الكنف[1] وفي الحديث القدسي :" ... حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبـــه [2].. وموقف العبدانية ويقول فيه :"أوقفني في العبدانية وقال لي : أتدري متى تكون عبدي "[3] إلى غير ذلك من المعاني والدلالات .

وإذا نحن نظرنا في معجم محي الدين بن عربي نجد أنه استخدم كثيراً من المصطلحات المتصلة بالحديث القدسي ، أو التي أسس لها الحديث القدسي واقتصر عليها ، ومن ذلك الصفات الجمالية وهي ما يتعلق باللطف والرحمة ، والصفات الجلالية وهي : ما يتعلق بالقهر والعزة والعظمة والسعة "[4]. وفي الحديث القدسي :" إن رحمتي تغلب غضـــــبي " [5] ونجد في معجمه مصطلحات : الرجاء والقرب والرداء والولي وغيرها [6]

نجد أن بعض المصطلحات المهمة عند الصوفية تقوم على حديث الولاية المشهور :" من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به و .... الحديث "[7] . ومما أقاموه عليه الاتحاد والاتصال أو الحلول والولي والولاية ، وحفظ عهد الربوبية والعبودية ومحو عين العبد وغير ذلك . وقد حفل المعجم الصوفي بكثير من هذه العبارات مثل العبد والولي والولاية[1] .

هـ. (الغريب) في الحديث القدسي :

---

(4) انظر : النفري ،محمد عبدالجبار ، المواقف والمخاطبات ، تحقيق آرثر آربري ، ط ا، لهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1985 م، ص 147.

(5) انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج13 ، ص 384 ، الحديث رقم 7405.

(6) انظر : النفري : المواقف والمخاطبات ، ص 68.

(7) سنن أبي داوود ، ج3 ،ص 59.

(8) انظر : المواقف والمخاطبات ، ص 89.

(9) انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج13 ، ص 384 ، 7405.

(1) المواقف والمخاطبات ، ص 89.

(2) انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج8 ، ص 353 ، الحديث رقم 4685.

(3) المواقف والمخاطبات ، ص 89.

(4) الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات ، ضبط محمد بن عبدالكريم القاضي وفهرسته ،ط1 ، دار الكتاب المصري القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1991 م، ص 90.

(5) سنن الترمذي ، ج5، ص 549.

(6) انظر : الجرجاني ، التعريفات ، ص 145.

(7) انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، ج11 ، ص 340 ، الحديث رقم 6502.

(1) أنظر: الجرجاني : التعريفات ، ص 90 – 145.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما يتصل بمعجم الأحاديث القدسية دراسة الغريب . ويحسن أن نقف أولاً على معنى الغريب واشتقاقه ، يقول الخطابي :" الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل ... ثم إن الغريب من الكلام يقال به على وجهين : أحدهما أن يراد به بعيد المعنى و غامضه ، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر ، والوجه الآخر أن يراد به كلام من بعدت به الدار ونأى به المحل من شواذ قبائل العرب ، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها وإنما هي كلام القوم وبيانهم "[2] ويقول ابن الأثير :" والألفاظ المفردة تنقسم قسمين : أحدهما خاص والآخر عام . أما العام فهو ما يشترك في معرفته جمهور أهل اللسان العربي مما يدور بينهم في الخطاب فهم في معرفته شرع سواء ، أو قريب من السواء .. وأما الخاص فهو ما ورد من الألفاظ اللغوية والكلمات الغريبة الحوشية التي لا يعرفها إلا من عني بها وحافظ عليها واستخرجها من مظانها –وقليل ما هم– فكان الاهتمام بمعرفة هذا النوع الخاص من الألفاظ أهم مما سواه وأولى بالبيان مما عداه ، ومقدماً في الرتبة على غيره ، ومبدوا " هكذا " في التعريف بذكره إذ الحاجة ضرورية إليه في البيان لازمة في الإيضاح والعرفان "[3] وقد ورد في الحديث الشريف بعض الغريب من الألفاظ والعبارات وهي ألفاظ خاصة لا يعرفها عامة من يتكلمون العربية . والتمس العلماء لورود الغريب في حديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عدة أسباب منها : سعة بيانه ومعرفته بكلام العرب علي تعدد قبائلهم وقد يتكلـــم " (صلي الله عليه وسلم) " كما يقول الخطابي" وبحضرته أخلاط من الناس ، قبائلهم شتى ولغاتهم مختلفة"[1]. وقد تولى علماء السلف - رضي الله عنهم أجمعين - شرح هذا الغريب ليكون في استطاعة من يقرأ حديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أو يسمعه أن يفهمه حق فهمه.

وإذا نحن نظرنا في كتب غريب الحديث نجد أن العلماء قد عرضوا لبعض ألفاظ الحديث القدسي خلال عرضهم للغريب من حديث الرسول (صلي الله عليه وسلم) كما في الحديث : يقول الله تبارك وتعالى " أعددت لعبادي الصالحين .... الحديث "[2] والمواضع التي عرض فيها هؤلاء العلماء للغريب في الحديث القدسي قليلة جداً إذا ما قارناها بمواضع الغريب في الحديث النبوي الشريف . فنجد أن أبا عبيد القاسم بن سلام قد عرض لألفاظ الحديث القدسي في سبعة مواضع من كتابه غريب الحديث.

وهذه المواضع السبعة منها أربعة مواضع تختص بمقدمات هذه الأحاديث ، وهي التي يمهد بها رسول الله (ε) لنص الحوار في الحديث القدسي والمواضع الثلاثة الأخرى مما نص عليه بـــ:" يقول الله أو قال الله تعالى . وقد عرض

---

[2] الخطابي ، أبو سليمان ، أحمد بن محمد ، غريب الحديث ، تحقيق عبد الكريم الغرباوي ، ط دار الفكر ، دمشق 1982 م، ص 68.

[3] انظر : ابن الأثير الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج1 ، ص 4 .

[1] الخطابي ، غريب الحديث ، ج1 ، ص 68.

[2] أبو عبيد القاسم بن سلام ، غريب الحديث ، تحقيق محمد محمد شرف وآخرين ، ط الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1984م ، ج ،1 ص135.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخطابي لحديث قدسي واحد في كتابه . وربما يكون ابن الأثير الجزري أكثر من عرض لدراسة الغريب في الحديث القدسي ، وقد رصدت من ذلك نحو ثلاثين موضعاً في كتابه . ويلاحظ كذلك أن معظم هذه المواضع من مقدمات الحديث القدسي التي يمهد بها رسول (صلي الله عليه وسلم) للحوار فيه . وحاولت كذلك أن أرصد المواضع التي أشكلت علي عند القراءة الأولى لهذه النصوص . مما تتطلب أن أقف على معانيها في كتب الغريب أو المعاجم ، فوجدت أن ابن الأثير قد وقف على كل هذه المواضع وشرحها في كتابه ، في حين أن كتب الغريب المتقدمة عليه في زمان تأليفها قد احتوت علي مواضع قليلة منها ، مما يدل على أن الغريب تزيد مادته بتطور الوقت وابتعاد الناس عن معين اللغة الصافي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب الأوائل وأشعارهم . ونذكر هنا من مواضع الغريب في الحديث القدسي ما جاء في شأن آخر من يدخل الجنة " آخر من يدخل الجنة رجل ، فهو يمشي مرة ويكبو مرة ... فترفع له شجرة ، فيقول : أي رب ، ادنني من هذه الشجرة فلأ ستظل بظلها وأشرب من مائها .. فيقول الله عز وجل يا ابن آدم ، ما يصريني منك ؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يارب ، اتستهزئ مني وأنت رب العالمين !"[1] قال أبو عبيد : قوله يصريك يقطع مسألتك مني ، وكل شيء قطعته ومنعته فقد صريته قال الشاعر – وهو ذو الرمة : "

فودعن مشتاقاً أصبن فؤاده هواهن إن لم يصره الله قاتله "

يقول :" إن لم يقطع الله هواه لهن ويمنعه من ذلك قتله "[2] . وورد في غريب الحديث أيضاً " وقال أبو عبيد في حديث النبي (صلي الله عليه وسلم) ، قال :" يقول الله تبارك وتعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، بله ما أطلعتهم عليه " ، قال الأحمر وغيره : قوله بله معناه : كيف ما أطلعتهم عليه ، وقال معناه : كيف ما أطلعتهم عليه ودع ما أطلعتهم عليه ، قال أبو عبيد : وكلاهما جائز "[1]

ومن غريب الحديث القدسي أيضاً ما جاء في حديث القيامة ومنه قول الله للعبد:" ألم أذرك ترأس وتربع ؟" قال ابن الاثير :" رأس القوم يرأسهم رئاسة : إذا صار رئيسهم "[2] و " تربع " أي تأخذ ربع الغنيمة ، يقال : ربعت القوم أربعهم : اذا أخذت ربع أموالهم مثل عشرتهم أعشر هم ، يريد ألم أجعلك رئيساً مطاعاً ،لأن الملك كان يأخذ الربع من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه ، ويسمى ذلك الربع : المرباع "[3] . ومنه ما ورد في الحديث القدسي من قول النار :" مالي لايد خلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم :" أي أراذلهم وأد وانهم ، والسقط - بالكسر والفتح والضم – والكسر أكثرها : الولد الذي يسقط من بطن أمه قبل تمامه "[4] . ومنه ما ورد في الحديث القدسي أيضا :" إن السقط ليراغم ربه إن أدخل أبويه النار "

---

[1] صحح مسلم ، ج1 ، ص 174 – 175.

[2] انظر : غريب الحديث ج2 ص 452 ، وانظر : ابن الأثير الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج3، ص 27.

[1] غريب الحديث ، ج1 ، ص 253.

[2] انظر : ابن الأثير الجزري في غريب الحديث والأثر، ج2 ، ص 176.

[3] نفسه ، ج2 ، ص 186.

[4] نفسه ، ج2 ، ص 378.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي " يغاضبه "[5]. ومنه قوله :" يمين الله ملائي سحاء لا يغيضها شيء الليل والنهار " " أي دائمة الصب والهطل بالعطاء ، يقال :

سح يسح سحاً فهو ساح والمؤنثة سحاء وهي فعلاء لا أفعل لها كهطلاء "[6] . ونكتفي بما استشهدنا به من مواضع الغريب وقد عرضنا في حواشي البحث لمواضع الغريب .

ونستطيع أن نلتمس بعض الأسباب لقلة الغريب في نصوص الحديث القدسي ، منها أن هذه النصوص قامت في معظمها على الحوار . ولغة الحوار لغة مشافهة تلجأ فيها الأطراف إلى الألفاظ السهلة ، وإذا عرض فيها لفظ غريب نجد أن الطرف الذي استشكل عليه الأمر يبادر بالسؤال عن المعنى المقصود ، ولهذا نجد أن معظم الغريب الذي ذكر في هذه النصوص هو من مقدمات هذه الأحاديث . من ذلك قوله : (ε) :" زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها فسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها " يقول ابن الأثير :" زويت جمعت "[1]. ويقال انزوى القوم بعضهم إلى بعض : إذا تدانوا وتضاموا ، وانزوت الجلدة في النار ، إذا انقبضت واجتمعت "[2] ومثله في حديث الحوض " فلا يخلص منهم إلا همل النعم " قال ابن الأثير " الهمل ضوال الإبل ، أحدها : هامل أي أن الناجي منهم قليل في قلة النعم الضالة "[3] . و منها قوله :" يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج" يقول ابن الأثير :" من الذل ، البذج ولد الضأن وجمعه بذجان "[4] وغير ذلك ونضيف لذلك أيضاً قلة نصوص الحديث القدسي إذا قورنت بنصوص الحديث النبوي الشريف ،فإذا قامت كتب الغريب على الاستقصاء فستكون نصوص الحديث القدسي أقل من نصوص الحديث النبوي الشريف ، ولا يختلف الأمر كثيراً إذا ما قامت كتب الغريب على الاختيار.

---

[5] نفسه ، ج2 ، ص 239.
[6] ابن الأثير الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج2 ، ص 245.
[1] نفسه ، ج2 ، ص 320.
[2] نفسه ، ج1 ، ص 116.
[3] نفسه ، ج5 ، ص 274.
[4] نفسه ، ج1 ، ص 110

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهم المصادر والمراجع

1- ابن الأثير الجزري , المبارك بن محمد ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناجي ، ط دار الفكر ، بيروت ، د. ت .

2- الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار المؤسسة العامة للتأليف والنشر ، القاهرة، 1964م .

3- الإستراباذي ، رضي الدين محمد بن الحسن، الوافية في شرح الكافية لابن الحاجب، تحقيق عبد الحفيظ شلبي ، ط وزارة التراث القومي للثقافة، مسقط ، عمان، 1983م.

4- الألوسي شهاب الدين محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ط دار الفكر ، بيروت، لبنان ،1987م .

5- الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط 1 دار الكتب العلمية ، بيروت ،1987م .

6- ابن تيميه ، أحمد ، مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم بمساعدة ابنه ، ط مكتبة المعارف ، المغرب ، د.ت .

7- الجر جاني ، السيد الشريف ، حاشية السيد علي المطول للتفتازاني على تلخيص القز ويني ، مطبعة أحمد كامل ، تركيا ، 1330م للهجرة .

8- الجرجاني علي بن محمد ، التعريفات ، ضبط محمد بن عبد الكريم القاضي وفهرسته ط1 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1991م .

9- ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط 1 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د. ت .

10- ابن حجر الهيثمي ، فتح المبين لشرح الأربعين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1978م .

11- الخطابي ، أبو سليمان ، أحمد بن محمد ، غريب الحديث ، تحقيق د. عبد الكريم الغرباوي ، ط دار الفكر ، دمشق ، 1982م .

12- الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، أعده للنشر وأشرف على وضعه الدكتور محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأ نجلو المصرية ، د. ت .

13- الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق د. عبد العزيز مطر ، منشورات وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت، 1970م.

14- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار القلم ، القاهرة ، 1966م.

15- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ط 7 ، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان ،1971م .

16- السيوطي ، جلال الدين ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم ، ط دار البحوث العلمية ، الكويت، 1975 م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

17- عبد القادر محمود ، الفلسفة الصوفية في الإسلام مصادرها ونظرياتها ومكانها بين الدين والحياة ، ط دار الفكر العربي ، القاهرة ، د. ت .

18- عصام نور الدين ، الفعل والزمن ، ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات الإسلامية والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ،1984م .

19- ابن عطية الأندلسي ، أبو محمد عبد الحق ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ورفيقيه ط 1 ، د ن ، الدوحة ، قطر ، 1977م .

20- الفيروزابادي محمد بن يعقوب ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق عبد الحليم الطحاوي ، ط المكتبة العلمية بيروت، لبنان، د. ت .

21- ابن ماجة القزويني ، أبو عبد الله محمد بن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث القاهرة ، د. ت.

22- مالك بن أنس ، الموطأ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، 1975م.

23- مالك يوسف المطلبي ، الزمن واللغة ، ط1 الهيئة العامة للكتاب- القاهرة 1986م .

24- مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط 2 دار الفكر ، بيروت، 1978م .

25- ابن منظور الأفريقي ، جمال الدين ، لسان العرب ، ط دار صادر ، بيروت ، د. ت .

26- المودودي ، أبو الأعلى ، المصطلحات الأربعة في القرآن ، ط 5 ، دار القلم ، الكويت ، 1971م.

27- النفري ، محمد بن عبد الجبار ، المواقف والمخاطبات ، تحقيق آرثر آربري ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1985م .

28- ابن هشام الأنصاري ، جمال الدين :

(أ) شرح اللمحة البدرية في علم العربية لأبي حيان دراسة الدكتور هادي نهر وتحقيقه ، مطبعة جامعة بغداد 1977 م.

(ب) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، ط 6 ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، 1985 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com